الإسلام والثورة

الطبعة الثالثة
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

© دار الشروق

القاهرة: ١٩ شارع سوق حلمي - عابدين: ٧٧٤٨١٨ - ٧٧٤٨٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: SHOROUK 93001
بيروت: ص.ب: ٨٠٩٤ - خلوي: ٣١٨٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: الشروق - تلكس: SHOROUK 20175 LE
SHOROUK INTERNATIONAL: 3N/3N REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL 0372743/4, TELEX SHORON 267780

الدكتور محمد عمارة

الإسلام والثورة

دار الشروق

تقـديـم

هناك فريق من المشتغلين بالدراسات الإسلامية ينكرون وصف الإسلام بـ« الثورة » .. بل ويستنكرون وصفه بهذه الصفة كل الاستنكار ! ..

وهم يؤسسون موقفهم هذا على أن « الثورة » ، كأى نشاط إنسانى ، فيها الخطأ والصواب ، بينما الإسلام صواب لا خطأ فيه ومن ثم فإن الواجب تنزيهه عن مثل هذه الأوصاف ! ..

لكن هذا الفريق من المشتغلين بالدراسات الإسلامية لا ينكرون ولا يستنكرون وصف الإسلام بأنه « دولة » ، بل هم حريصون كل الحرص على ترديد عبارة : « إن الإسلام دين ودولة » ! . وهى عبارة صادقة ، نشاركهم الحرص على إذاعتها والدعوة إليها ـ .

إذًا ، فهم ينكرون أن الإسلام « ثورة » ، ويحرصون على أنه « دولة » ، رغم أن كلاً من « الثورة » و« الدولة » نشاط إنسانى فكرًا وتطبيقًا ، وفيهما ، كليهما ، ما هو خطأ وما هو صواب ! ..

وأغلب الظن ، بل يقينًا ، إنهم ينكرون ويستنكرون أن تكون

« دولة » الإسلام « دولة ثورة » أو « دولة ثورية » ، ويحبذون الابتعاد بها عن صفة « الثورة » و « الثورية » ؟ ! .. يريدونها « دولة » وفقط أو « دولة » غير ثائرة ، بالتحديد ! ..

وهنا تظهر منطلقات وجهة النظر هذه ، ويسفر هذا الاتجاه الفكرى عن وجهه .. فالقضية ليست قضية « تنزيه » الإسلام عن الاتصاف بأوصاف هى من صميم النشاط البشرى الذى يحتمل الخطأ والصواب ، وإلا « لنزَّهوه » أيضًا عن صفة « الدولة » .. وإنما القضية أن هناك موقفًا معاديًا « للثورة » كسبيل لتغيير الحياة وتبديل النظم والتطور بالمجتمعات ! .. وهو موقف يكرِّس « الواقع » ويمنحه « الشرعية » و « البركة » ، وإن كان لابد من تغيير فليكن « إصلاحًا » و « إصلاحات » لا تصل إلى حد « الثورة » ولا تبلغ الجذور والأعماق فى عملية التغيير ! ..

وفريق آخر من المشتغلين بالدراسات الإسلامية يقبل « الثورة » عندما تحدث ، وعندما يعيش فى ظل سلطتها وسلطانها ، باعتبارها « واقعة » قد حدثت « ونازلة » يسلم بها المؤمنون الذين امتحنوا بها ولهم أجر الصبر على معايشتها والعيش فى كنفها ! .. وفى أحسن الحالات فإنهم ينظرون إليها « كمحظور » و « محرَّم » تبيحه « الضرورة » ، و « الضرورات تبيح المحظورات ! » ..

وليس هناك فرق بين منطلقات هذين الفريقين ، بل هما فى الحقيقة

فريق واحد يرى أصحابه أن الصلات غير قائمة بين الإسلام ـ كفكر خالص ، وكفكر وضع فى التطبيق بمجتمع عصر النبوة وصدر الإسلام ـ وبين « الثورة » ، كطريق إنسانى لتغيير المجتمعات والانتقال بها إلى درجات جديدة فى سلم التطور .. ومن هنا تأتى أهمية الدراسة لهذه القضية .. قضية : (الإسلام .. والثورة) ..

ـ ما هو موقف الإسلام من « الثورة » ؟ .. وما هو مكانها فى مصادره الأساسية : القرآن ، والسنّة ؟؟ .

ـ ما هو موقف المسلمين الأوائل ، فى عهد دولة الخلافة الراشدة التى غدت عند التابعين وتابعى التابعين « سابقة دستورية » وحجة يحتكمون إليها ... ما هو موقفهم من « الثورة » ؟؟ ..

ـ وما هو موقف التيارات الفكرية والسياسية الإسلامية من هذه القضية ؟؟ .. نظريًا وعمليًا ؟؟ .. وإذا كانوا قد اختلفوا ، فوجدنا فيهم ، « فِرقًا » ثورية ، و « فِرقًا » رفضت الثورة ، فلماذا كان هذا الاختلاف ؟؟ ..

تلك هى القضية ، أو القضايا ، التى يعالجها هذا الكتاب .. ويعالجها من منطلق إسلامى فيهيب بمختلف الفرقاء : أن تعالوا إلى كلمة سواء ، كى نرى قضية « الثورة » فى ظل فكر الإسلام وتعاليمه كتابًا ، وسنّة ، وحضارة ، وتجربة أقامها المسلمون الأوائل فى الدولة التى أسسها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ..

ويزيد من أهمية دراسة هذه القضية فى ظروفنا الراهنة ، ان « الثورة » كطريق لتغيير المجتمعات ، وكسبيل لرفع المعاناة عن الجماهير فى المجتمعات الاسلامية ، تتعرض لهجمات شرسة ، بل وللادانة والرفض ... وباسم الاسلام يحدث هذا الرفض وتلك الادانة وتشن هذه الهجمات ؟ ! ...

فإذا استطاعت صفحات هذا الكتاب أن تجلو وجه الإسلام كى يشرق على هذه القضية وينير هذا الميدان كان ذلك هو القصد الذى نحمد الله على بلوغه ونشكره على التوفيق فيه ! .

دكتور

محمد عمارة

القاهرة

الشـورة
(التعريف والمصطلح)

إن مرادنا بالثورة هى أنها : **العلم ، الذى يوضع فى الممارسة والتطبيق ، من أجل تغيير المجتمع تغييرًا جذريًا وشاملاً ، والانتقال به من مرحلة تطورية معينة إلى أخرى أكثر تقدمًا ، الأمر الذى يتيح للقوى الاجتماعية المتقدمة فى هذا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاليد الأمور ، فتصنع الحياة الأكثر ملاءمة وتمكينًا لسعادة الإنسان ورفاهيته ، محققة بذلك خطوة على درب التقدم الإنسانى نحو مثله العليا التى ستظل دائمًا وأبدًا زاخرة بالجديد الذى يغرى بالتقدم ويستعصى على النفاد والتحقيق !**

ومصطلح « الثورة » ، وإن كان قد عرف واستعمل فى تراثنا العربى ، الدينى منه والسياسى ، إلا أنه لم ينفرد وحده بالدلالة على تلك المعانى التى أشرنا إليها فى هذا التعريف ، والتى استقرَّت لهذا المصطلح فى أدبنا السياسى الحديث ، فلقد شاركته فى الدلالة على هذه المعانى أو بعضها مصطلحات أخرى ، كان بعضها أكثر منه شيوعًا فى الاستعمال على امتداد تاريخنا الإسلامى ، حتى لقد يحسب البعض أن

مصطلح « الثورة » غريب عن تراثنا القديم ، وطارئ أضافه عصرنا الحديث ..

فالعرب والمسلمون الأوائل قد عرفوا مصطلح « الثورة » واستخدموه ، وكان يعنى عندهم ضمن ما يعنى : الهياج والانقلاب ، والتغيير ، والوثوب ، والانتشار ، والغضب .. بل لقد دلّت بعض مشتقات هذا المصطلح على نمط فى البحث والتفكير يتسم بالعمق والغوص وراء المعانى وقلب الظواهر وتجاوزها بحثًا عن المكنونات ! وفى (لسان العرب) لابن منظور ، نطالع حديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أثيروا القرآن ، فإن فيه خبر الأولين والآخرين » وحديث : « من أراد العلم فليثوّر القرآن » ! .. وفى صحاح السنة ومسانيدها الشهيرة نجد هذا المصطلح ـ مصطلح « الثورة » ـ يطالعنا فى الكثير من الأحاديث .. فالصحابى « اللجلاج » يروى لنا الحديث الذى يقول فيه « بينما نحن فى السوق إذ مرَّت امرأة تحمل صبيًا فثار الناس وثرت معهم ، فانتهيت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقول لها : من أبو هذا ؟ ! فسكتت ! ... [1] .. » وفى الحديث الذى روته أم المؤمنين عائشة ، ـ رضى الله عنها ـ والذى يحكى قصة حديث الإفك الذى شاع ضدها ، نقرأ وصف الخلاف الذى نشب بين الأوس والخزرج بينما

---

(١) رواه البخارى وأبو داود وأحمد بن حنبل .

الرسول يخطب من فوق المنبر ، فنجد استخدام هذا المصطلح .. تقول عائشة : « .. فثار الحيان : الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت ! [٢] » ... أما الصحابي « مرة البهزى » فإنه يروى لنا ، فى تنبؤ الرسول بالثورة على عثمان بن عفّان ، حديثًا يستخدم فيه مصطلح « الهياج » فى رواية ومصطلح « الثورة » فى رواية أخرى .. يقول : « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : تهيج فتنة كالصياصى .. » وفى الرواية الأخرى يروى أن الرسول قال : « كيف فى فتنة تثور فى أقطار الأرض كأنها صياصى بقر .. » [٣] .. فيؤكد ما سنشير إليه من اشتراك أكثر من مصطلح فى الدلالة على « عملية الثورة » كطريق للتغيير ... كما تؤكد لنا صحاح السنة ومسانيدها شيوع هذا المصطلح فى تراثنا النبوى ، الأمر الذى يشهد له وجود هذا المصطلح فى كتب الصحاح والمسانيد الشهيرة فى أكثر من أربعين حديثًا [٤] ....

وحول نفس المعانى يستخدم القرآن الكريم مادة هذا المصطلح للدلالة على : الانقلاب ، والاثارة والهياج ، فبقرة بنى إسرائيل كانت

---

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل .

(٣) رواه أحمد بن حنبل (وصياصى البقر : قرونها . ومفردها : صيصة وصيصية) .

(٤) انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى) وضع جمعيات الاستشراق الأممية . طبعة ليدن ١٩٣٦ ـ ١٩٦٩ م .

لا (تثير الأرض)[٥] أى لا تقلبها بالحرث الذى يغيرها .. ومن الأمم السابقة من (كانوا أشد قوة وأثاروا الأرض وعمروها)[٦] أى قلبوا وجهها ، كما يقول : « البيضاوى » فى التفسير .. والخيل إذا اقتحمت ميدان القتال (أثرن به نقعًا)[٧] أى هيجن التراب فصنعن به سحبًا من الغبار .. والله ـ سبحانه ـ هو (الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً)[٨] وهو (الذى يرسل الرياح فتثير سحابًا)[٩] أى تهيجه كى ينتشر فيسقى البلاد الميتة أو يبسطه فى السماء (كيف يشاء) ...

وغير مصطلح « الثورة » هذا نجد العرب المسلمين قد استخدموا مصطلحات أخرى للدلالة على عدد من « المعانى » و « الأفعال » القريبة من معنى « الثورة » وأحداثها .. فمصطلح « الفتنة » استخدم قديمًا ، للدلالة على الاختلاف والصراع حول الآراء والأفكار وقيام الأحزاب والتيارات الفكرية المتصارعة .. ولقد كانوا يصفون المؤرخ إذا كان حجة فى أخبار « الثورات » و « الحروب » فيقولون عنه : إنه عالم فى « الفتن » و « الدماء » !

كما استخدموا مصطلح « الملحمة » للدلالة على بعض معانى مصطلح « الثورة » ، فدل عندهم على : التلاحم فى الصراع

---

(٥) البقرة : ٧١
(٦) الروم : ٩
(٧) العاديات : ٤
(٨) فاطر : ٩
(٩) الروم : ٤٨

والقتال ، وبخاصة إذا كان القتال فى ثورة ، كما دلّ على عمليات الاصلاح الجذرى العميق ، لأنه ـ كالثورة ـ يفضى إلى التأليف بين الأمة ويحقق وحدتها وتلاحمها .. ولأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلّم قد مارس التغيير بالوسيلتين معًا : القتال ، والاصلاح العميق ، جعلوا من أوصافه : « نبى الملحمة » .

وغير « الفتنة » و « الملحمة » استخدموا مصطلح « الخروج » وغلب على الأدب السياسى لكثير من فرق المسلمين ومدارسهم الفكرية ، حتى لقد اشتق منه اسم « الخوارج » لثورتهم المستمرة .. كما استخدموا أيضًا ، مصطلح « النهضة » لأن « النهوض » ـ كالثورة ـ يعنى الوثوب والانقضاض .. ففى الحديث الذى يرويه الصحابى « ابن أبى أوفى » نقرأ : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلّم ـ يحب أن ينهض إلى عدُوِّه عند زوال الشمس »[١٠] ! .. كما نقرأ فى حديث الصحابى « أبو بريدة الأسلمى » عن فتح خيبر قوله : « لما نزل الرسول ـ صلى الله عليه وسلّم ـ بحصن أهل خيبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا أهل خيبر ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : لأعطين اللواء غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فلما كان الغد دعا عليًا وأعطاه اللواء ونهض الناس

---

(١٠) رواه أحمد بن حنبل .

معه فلق أهلى خيبر[11] .. أما أنس بن مالك فإنه يروى فيقول :

« حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر ، واشتد اشتعال القتال ، فلم يقدروا على الصلاة ، فلم نصلّ إلا بعد ارتفاع النهار »[12] .. إلى غير ذلك من الأحاديث التى تستخدم مصطلح « النهضة » و « المناهضة » بمعنى البروز والوثوب والصراع مع الأعداء لاحداث التغيير والاقتحام للمستقبل وامتلاك الجديد وإحراز الفتح المبين ! ..

ولقد ظلّ هذا المصطلح ـ مصطلح « النهضة » بمعنى « الثورة » ـ مستخدمًا حتى وقت قريب ، فنحن نطالعه فى كتابات جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م) ، ويطالعنا فى أدب ثورة سنة ١٩١٩ م عندما نقرأ خطب سعد زغلول[13] (١٨٦٠ ـ ١٩٢٧ م) ..

---

(١١) رواه ابن حنبل .

(١٢) رواه البخارى .

(١٣) انظر فى كل ذلك (لسان العرب) لابن منظور . والدراسة التى قدمنا بها (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى) ص ١٤ طبعة القاهرة . سنة ١٩٦٨ م .

ارهاصات الواقع الجاهلى
بالإسلام الثورة

ولقد كان الإسلام ، عندما ظهر فى شبه الجزيرة العربية ، فى **جوانبه الفكرية والاجتماعية والسياسية** أول ثورة كبرى وأعظم ثورة فى التراث الحضارى للعرب المسلمين .. كما كانت لجوانبه الثورية هذه صلات وثيقة بالواقع الذى ظهر فيه ، إذ استهدفت هذه الجوانب تغييره ، والانتقال به إلى طور متقدم وجديد .. ويشهد لهذه الصلات ما سبق ظهور الاسلام كثورة ، من إرهاصات تمثلت فى محاولات لتغيير هذا الواقع الجاهلى أو تطويره ، اتخذت أحيانًا شكل الرفض والاستنكار والانكار ، وحينًا آخر لجأت إلى العنف الثورى ، ممثلاً فى الانتفاضات والتمردات ..

* فحركة « الصعلكة » و « الفتوة » التى عرفها واقع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كانت واحدة من حركات الرفض والتمرد والانتفاض ضد مظالم ذلك الواقع الجاهلى .. فهؤلاء الشعراء الذين عرفوا بشعراء الصعاليك ، ومن تبعهم من ذوى الأفق المستنير ، ومن المقاتلين والفرسان .. قد انخرطوا فى تيار للمقاومة الرافضة ، وتسلحوا

« بالعنف الثورى » الذى استخدموه فى الاغارة على الأثرياء ينتزعون ثراءهم كى يعيدوا توزيعه على الفقراء ! .. وهم لذلك قد هجروا الحواضر والقرى والمدن إلى البادية ، يشنون منها غاراتهم التى أشبهت « حرب العصابات » ، ويمارسون تقاليدهم المعيشية المتميزة ، التى سجلتها أشعارهم المتناثرة بقاياها فى مصادر التراث ..

« وخالد بن سنان العبسى ـ (الذى ظهر بأرض عبس ، فى نجد) ـ هو الآخر ، علامة على الرفض للواقع الجاهلى ، وعلى محاولات التغيير التى سبقت ظهور الإسلام .. فلقد تقدم إلى قومه كنبى ، يدعوهم إلى نمط للحياة غير الذى ألفوه .. لكن قومه خذلوه ولم تتح له الظروف « دولة » تحفظ « دعوته » ، فلفها ظلام الجاهلية مع ما لف من دعوات الرفض ومحاولات التغيير.. ولقد شهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لخالد العبسى ولدعوته .. فعندما جاء وفد قبيلته إلى المدينة مبايعًا ومسلمًا ، كانت ضمن هذا الوفد امرأة عجوز هى بنت خالد العبسى ، فلما علم بذلك الرسول ، نهض لاستقبالها وفرش لها عباءته كى تجلس عليها ، وقال لها كلمته ذات الدلالة : « مرحبًا ببنت نبى ضيعه قومه ؟ ! » ..

« وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى (١٧ ق . هـ ٦٠٦ م .) ـ وهو قرشى ، من عدى ـ كان هو الآخر نموذجًا لحركة الرفض لواقع الجاهلية قبل الإسلام .. فلقد رفض الوثنية وتعدد

الآلهة .. وحرم على نفسه الخمر ، ودعا إلى تحريمها .. واتخذ من غار حراء مكانًا للتحنث والتأمل والتعبد شهرًا كل عام ، هو شهر رمضان ! .. وساح فى شبه الجزيرة ، شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ، يلتقى الأحبار والرهبان ، ويبحث عن الحقيقة ، ويجتهد لنسج نمط فكرى جديد يتغير به واقع ذلك المجتمع القديم .. وبعد أن مات ، وهو فى طريقه إلى الشام ، باحثًا عن الحقيقة ، شهدت مكة ظهور الإسلام بعد موته بخمس سنوات .. وكان تقويم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لدعوة زيد تقويمًا وضعها على طريق المحاولات الكبرى التى سبقت الاسلام داعية إلى رفض الواقع الجاهلى ومحاولة تغييره .. فلقد قال الرسول عن زيد : « إنه يُبعث يوم القيامة أمة وحده ؟! » ..

* والحنفاء .. ذلك التيار الفكرى الدينى .. انتشر أصحابه وأتباعه فى مواطن كثيرة من أرض شبه الجزيرة .. يرفضون الوثنية ، وينكرون مظالم الجاهلية ، ويتطلعون إلى مجتمع جديد وفكر جديد .. وفى سبيل ذلك أخذوا ينقبون عن بقايا عقيدة التوحيد ، كما عرفتها قرونهم الأولى على يد إبراهيم الخليل ، ويحاولون بناء نمط فكرى دينى من هذه البقايا .. ولقد كان أبو ذر الغفارى (٣٢ هـ ٦٥٢ ـ ٦٥٣ م) واحدًا من هؤلاء الحنفاء ، اهتدى بتأمله ، وبفكره إلى التوحيد ، فوحد الله وصلى له وحده ، دون واسطة ، قبل ظهور الإسلام بسنوات ثلاث ! [١٤] ..

---

(١٤) انظر كتابنا (مسلمون ثوار) ص ١٧ طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م .

* وحلف الفضول .. ذلك التعاهد الاجتماعى والسياسى الذى اجتمعت عليه عدة بطون من قريش ـ (بنو هاشم ، وزهرة ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وبنو تيم) ـ وأقسموا فيه وتعاهدوا على نصرة المظلوم ، أيًا كان .. وردع الظالم ، مهما كان .. ورد المظالم إلى أصحابها .. هذا الحلف كان هو الآخر شكلاً تنظيميًا ومنظمًا اجتمعت فيه جهود رافضة لما امتلأ به ذلك الواقع الجاهلى من مظالم وآثام وحاولت به تلك الجهود أن تُحل بعض العدل محل الجور الذى كان يئن منه إنسان ذلك المجتمع فى ذلك التاريخ .. ولقد كان هذا الحلف من إرهاصات التغيير التى اقتربت ، زمنًا ، من ظهور الإسلام ، فبين عقده وبين نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشرون عامًا .. ولقد كان الرسول من بين مؤسسيه ، شهد إبرام ميثاقه وعمره عشرون عامًا ..

فلقد كانت ، إذن ، للعرب جهود استهدفت تغيير الواقع وبعض هذه الجهود كان سلميًا ، بينما استعان بعضها الآخر بالسيف ـ العنف ـ لانجاز ما أراد من تغيير .. فكانت هذه الجهود جميعًا علامات على طريق الإنسان العربى نحو ثورته الكبرى ، وإنجازه الثورى الأعظم الذى تمثل فى ثورة الإسلام ..

* * *